

رسالة .. لا سلعة ..!



عسان عبداللطيف الشاقي

ما الذي يدفع الأطفال إلى إخفاء مشاكلهم عن آبائهم سواء كانت هذه المشاكل في المدرسة أم الشارع أم المنزل؟ ما سر هذا الإخفاء؟ ومن المسؤول عن دفعهم لارتكاب مثل هذا السلوك الذي يقوم على الكذب في معظم الأحيان؟ تساؤلات يطرحها واقع العصر الذي يواجه فيه الأطفال مشكلات كثيرة.. لكنهم لا يجدون الجرأة في الإفصاح عنها خوفاً من اتهامهم بأنهم سبب المشكلة، الأمر الذي يعرضهم للإهانة والتوبيخ والضرب أحياناً.. وهم إن أفصحوا عنها يجدون تجاهلاً و(تطنيشاً) يزيد من حدة التوتر النفسي لديهم.. مشاكل الأطفال كثيرة، أخطرها تعرضهم لتحرشات في مدارسهم أو في الشارع أو المنزل.. ومنها تعرضهم لعنف ومضايقات من زملائهم وأحياناً من أقاربهم. هناك إعلامية شهيرة ومتميزة تحتل الصدارة العالمية في الفضائيات.. مئات الملايين في أنحاء العالم يحرسون على متابعتها من خلال ما تقدمه من برامج هادفة، ناجحة، مؤثرة، لا يمل المشاهد من متابعتها مهما طالت المدة، هذه الإعلامية المشهورة التي تبلغ الستين من عمرها تعرضت في طفولتها لتحرش ومحاولات اعتداء جنسي من أحد أقاربها، فاستنجدت بوالدها الذي تجاهل الأمر، ولم يبالي بتوسلات ابنته التي أحست بالفعل أنها وحيدة.. لقد تجاهلها.. لكنها هي لم تتجاهل المشكلة.. فكبرت هذه الطفلة وكبرت معها المشكلة، والتحقت بكلية الإعلام لتصبح فيما بعد واحدة من أبرز الإعلاميين والإعلاميات على مستوى العالم، وأكثرهم ثراءً، إذ وصلت ثروتها إلى أكثر من ألفي مليون دولار.. ومن خلال موقعها في الفضائية التي التحقت بها استعادت واقعها المساوي الذي مرت به أثناء الطفولة.. فركزت كل الاهتمام على قضايا الطفل والمرأة وحرصت على أن يكون ضيوفها في برامجها من الضحايا والمتخصصين وكبار المسؤولين الذين تضع من خلالهم النقاط على الحروف في معالجة المشكلة.. ولأن هذه الإعلامية مرت بهذا الوضع المساوي فإنها تبدي الكثير من التعاطف والتفاعل واستنهاض الضمائر لنصرة الضحايا من الأطفال والنساء، والذين تضاعفت أعدادهم باتساع خدمات الإنترنت.. هذه الإعلامية نجحت بالفعل في كشف الحقائق، وتحديد المسؤولين عن الخطأ، وهي من خلال ماضيها المساوي في طفولتها تمكنت من وضع المشكلة أمام كل أسرة، فالأطفال بيتعدون عن قول الحقيقة بفعل خلل في التنشئة، وتفكك في بنية الأسرة، وانحدار في السلوك، وكلها أمور تعزز انعداماً في الثقة وضعفاً في مواجهة الصعاب وتخوفاً من قول الحقيقة.

لقد نقلت هذه الإعلامية معاناتها إلى مئات الملايين من مشاهديها، وهي معاناة يمر بها مئات الآلاف من الأطفال في عصر يستوجب أن يكون الإعلام فيه رسالة لا سلعة.. هذه الإعلامية تستحق التقدير، فبرامجها تشكل مدرسة متكاملة في التنشئة الاجتماعية، وحل مشكلات الأطفال والنساء على حد سواء.. وحري بمختلف البرامج المرئية في دول العالم الثالث، وخصوصاً برامج فضائياتنا العربية أن يكون لها تأثيرها الفاعل وأصداؤها المؤثرة في تلمس قضايا مختلف الفئات الاجتماعية وعلى الأخص الأطفال والنساء باعتبارهم الفئات الأضعف. ■